المحاضرة الخامسة: أنواع مصادر تاريخ الجزائر الحديث

هدف المحاضرة 5: أن يتعرف الطالب على بعض أنواع مصادر الرحلة العربية والأجنبية وبعض كتابات القناصل

لقد كتب عن تاريخ الجزائر الحديث العديد من **الرحالة العرب والأجانب**، كما كتب عنها **القناصل والمبعوثين السياسيين والدبلوماسيين** الذين كانوا يزورونها من حين لآخر للنظر في مشاكل بلدانهم وطلب ود الجزائر، ووجد تاريخ الجزائر الحديث أيضا في **كتابات الأسرى** على مختلف جنسياتهم، بحكم أن هذه الظاهرة كانت عملة رائجة في تلك الفترة.

تزخر **الكتابات العامة والخاصة (المذكرات والسير الذاتية)** لبعض الكتاب والمؤلفين في تاريخ الجزائر الحديث الذين عايشوا بعض الأحداث والوقائع من 1516 إلى 1830 بمعلومات في غاية الأهمية، ناهيك عن كتابات **الآباء، والجواسيس والرهبان** التي نجدها كثيرة المعارف والأخبار في جوانب شتى، وهذا ما يتطلب التأني في دراستها والتثبت الدقيق من صدق معلوماتها، بالإضافة إلى كتابات **المغامرين والسياح**، دون أن ننسى الكم الهائل من **الوثائق الأرشيفية** التي خلفتها فترة الحكم العثماني، بحكم أن العثمانيين كانوا يسجلون ويقيدون الأوامر، القرارات، الفرمانات، عمليات البيع والشراء، الأوقاف، التركات، الخصومات والمنازعات، عمليات التجنيد، دفع مرتبات الإنكشارية وتحصيل الضرائب...، وكل ما من شأنه أن يوثق لمجريات الحياة بصفة دقيقة في تلك الحقبة، كما يجب علينا أن لا ننسى **المخطوطات** التي دونت بخط اليد في تلك الفترة وهي كثيرة ومتنوعة حسب المجالات والميادين، وسنحاول جاهدين أن نذكر في كل نوع من أنواع مصادر تاريخ الجزائر الحديث أمثلة، والتي بواسطتها يتضح المقال ويزال اللبس، ومن هذه الأنواع نذكر:

*-**مصادر الرحلة العربية:** الحقيقة أن هناك العديد من مصادر الرحلة العربية المحلية وغير المحلية التي تحدثت عن تاريخ الجزائر الحديث في جوانب عديدة هذا من جهة، وعن مناطق كثيرة من الجزائر هذا من جهة أخرى، وسنكتفي بذكر المهمة منها حسب اعتقادنا:

أ-عبد الرزاق بن حمادوش، لسان المقال في النبأ عن النسب والحسب والحال[77]: وهي المسماة برحلة ابن حمادوش، وكانت خلال القرن 12هـ/18م، إذ نجد في هذه الرحلة معلومات متنوعة ومتفرقة، منها ما يخص ابن حمادوش(سيرته وترجمة حياته)، ومنها ما يخص بعض الأحداث التي عايشها أو اطلع عليها، لأنه كان عالما موسوعيا، فقد كتب في عدة علوم مثل: الطب والصيدلة والحساب والفلك والفرائض...، وقيد ملاحظات كثيرة عن الحياة في تلك الفترة، وعلى وجه الخصوص في مدينة الجزائر.

ب-الحسن الوزان، وصف إفريقيا[78]: يذكر هذا الرحالة المغربي العديد من المعارف والأخبار التي تخص عدة مدن ومناطق من الجزائر في القرن 10هـ/16م، غربها، وسطها وشرقها، مثل: تلمسان ونواحيها، مدينة الجزائر وضواحيها، جيجل، بجاية وقسنطينة...، وللفائدة أكثر فقد التقى الحسن الوزان بعروج في سنة 1516 وكتب الكثير عن أحداث تلك الفترة، لذلك نحسبه من المصادر المهمة التي لا يمكن الاستغناء عنها.

ج-الحسين الورتلاني، نزهة الأنظار في فضل علم التاريخ والأخبار[79]، وهي المسماة بالرحلة الورتلانية، رغم أنها رحلة حجازية لأداء فريضة الحج إلا أننا نجد فيها معلومات قيمة عن العلماء والشيوخ والمتصوفة في مناطق كثيرة من الجزائر، كما نجد فيها أيضا بعض الإشارات للقبائل والأعراش، المدن والمناطق، العادات والتقاليد في الجانب الاجتماعي والجانب الثقافي، دون أن ننسى ركب الحج ومسالكه وما يرافقه من أحداث ووقائع في غاية الدقة.

-**مصادر الرحلة الأجنبية:** هذه المصادر كثيرة وعديدة، لكننا نختار منها المفيدة والمتوفرة:

أ-ج.أو.هابنسترايت، رحلة العالم الألماني هابنسترايت إلى الجزائر وتونس وطرابلس 1145هـ/1732م[80].

-J.E.HEBENSTRIT, Voyage du savon allemand J.E.HEBENSTRIT à Alger, Tunis et Tripoli.

تحدث فيها جون أرنست هابنسترايت عن عدة مواضيع بنظرة علمية بحكم أنه عالم نبات وكان ضمن بعثة علمية، فسجل معارف كثيرة ودون ملاحظات عديدة عن الجزائر من حيث: الموقع، التحصينات، الحمامات، المساجد، المنازل، الدايات، العادات والتقاليد، الخزينة، فدية الأسرى، رمضان و مراسم العيدين، المحلة، ولا يفوتنا أن نذكر بأن هذا الرحالة قد رافق المحلة في جمع الضرائب نواحي متيجة والبليدة والمدية...، ونعتقد جازمين بأن معارفه وأخباره قد تحمل في طياتها الجديد عن تاريخ الجزائر الحديث.

ب-جين أندري بايسونال، رحلة في إيالة الجزائر وتونس:

-JEAN ANDRE PESSONEL, Voyage dans les Régences de Tunis et d'Alger [81]

تحدث فيها الطبيب الفرنسي بايسونال عن الشرق الجزائري في سنة 1725 وسجل ملاحظاته وانطباعاته في طريقه البري من عنابة إلى مدينة الجزائر، ولا بأس في هذا المقام أن نذكر بعض المواضيع التي ذكرها في رحلته والتي تم الاطلاع عليها وهي: الموقع المندثر لمدينة الجزائر، الحصون، الميناء، برج الفنار، العيون، السجون، الثكنات، إقامة الداي، القناصل، حماية المدينة، زلزال ضرب المدينة، ضواحي المدينة، كيفية تغيير جنود الحاميات...، والمعلومات التي يذكرها لها أهمية كبيرة في تاريخ الجزائر الحديث، كما أنها تحتاج إلى غربلة وتمحيص دقيقين.

ج-السيد طولو: رحلة من باريس إلى الجزائر:

-A. BERBRUGGER, Un Voyage de Paris à Alger en 1731 par LE SIEUR TOLLOT(82)

هي رحلة سياسية للمبعوث الفرنسي السيد طولو إلى السلطات العثمانية بالجزائر بغية إعادة العلاقات بين البلدين والنظر في المشاكل المطروحة، وقد تحدث فيها عن مجريات رحلته بصفة متناهية، وتزامنت مع وجود عبدي باشا داي الجزائر، لذلك قدم له وصفا دقيقا، كما ذكر كيفية استقبال الداي له ولرفاقه وبعض الإجراءات السياسية التي كانت متبعة حينها.

***-كتابات القناصل:** في الحقيقة أن هناك العديد من القناصل الأجانب الذين تقلدوا تمثيل بلدانهم في الجزائر، واختلفت مدة إقامتهم، كل حسب ظروف ومعطيات معينة، فمنهم من دون معارف في غاية الأهمية، ولا يفوتنا في هذا الشأن أن نوضح بأن القناصل هم الأعين الساهرة لمصالح بلادهم في الجزائر، لذلك كانت تقاريرهم تحمل في ثناياها التنوع والدقة، وحسبنا أن نذكر:

أ-لوجي دي تاسي: تاريخ مملكة الجزائر:

-LAUGIER DE TASSY, Histoire de Royaume d'Alger(83).

نحسب كتاب لوجي دي تاسي من المصادر المهمة في تاريخ الجزائر الحديث، كتب في نهاية الربع الأول من القرن 18م، فيه العديد من الملاحظات والآراء حول مدينة الجزائر على وجه الخصوص، وعلى كامل الجزائر على وجه العموم، بالرغم من أن إقامته في المدينة لم تتعدى سبعة أشهر، إلا أن الكاتب دي تاسي استطاع أن يجمع فيه الكثير من الوقائع والأحداث في جوانب متنوعة، سياسية، عسكرية، اقتصادية، اجتماعية، ثقافية ودينية، غير أنها ملفقة بأحكام مسبقة ونظرة إزدرائية لكل ما هو عثماني، أو بالأحرى إسلامي، ويجب التعامل مع مثل هذه المصادر بحذر شديد، وللإشارة فقد اعتمد عليه الكثير من الكتاب الأوروبيين فيما بعد لأنه طبع في 1725.

ب –فونتير دي بارادي: تاريخ الجزائر في القرن الثامن عشر:

–VENTURE DE PARADIS. Alger au XVIIIe siècle [84]

هذا القنصل الفرنسي الذي مكث في مدينة الجزائر سنتين كاملتين أواخر القرن الثامن عشر، من 1788 إلى 1790، سجل في كتابه عدة مواضيع والتي منها نذكر: مدينة الجزائر، ميناؤها، حمايتها، إقليم الداي وسكانه، الصناعة والتجارة، القراصنة، العبيد، اليولداش، الوجق، مكونات حكومة الجزائر، منزل الداي، الديوان، طريقة معالجة القضايا...، ويبدو أنه كان ملاحظا بارعا ومسجلا دقيقا للوقائع والأحداث، والتي نحسبها ذات شقين، منها الحقيقي ومنها الزائف.

ج –فيليب سيزار فالييز: الجزائر في 1781.

–PH.C. VALLIERE, L'Algérie en 1781[85].

الحقيقة أن كتاب القنصل فالييز كتاب صغير الحجم، بحيث لا يتعدى المائة صفحة، إلا أنه يحتوي على معلومات متنوعة، عن المدينة، قصر الداي، الحكومة، انتخاب الداي، المؤامرات، وزراء وضباط المملكة، الديوان، الباشا، السكان، العادات والتقاليد، تقسيم المملكة، اللغات، الشواش، سياسة الأتراك نحو الموريين(السكان الأصليين)، مستشفى المدينة، البايات في الجزائر، قوات المملكة، أجرة الجنود، الزراعة، التربية، المدارس، الزنوج، الذهاب إلى مكة...، وغيرها من المواضيع ذات الصلة بتاريخ الجزائر الحديث، وإننا نعده من المصادر الهامة والمتميزة في هذا الشأن، ويحتاج فعلا إلى ترجمة وتعاليق دقيقة فيما أورده عن بلادنا في هذه الفترة العصيبة من تاريخنا.

الهوامش والإحالات الخاصة بالمحاضرة الخامسة:

(77)–عبد الرزاق بن حمادوش، المصدر السابق.

(78)-الحسن الوزان، المصدر السابق.

(79)-الحسين الورتلاني، المصدر السابق.

(80)-ج.أو. هابنسترايت، المصدر السابق,

(81)-J.A. PEYSSONNEL, **Voyage dans les Régences de Tunis et d'Alger**, présentation et notes du LUCETTE VALENSI, édition la découverte, Paris, 1987.

(82)-A.BERBRUGGER, « **Un voyage de Paris à Alger par Le SSIEUR TOLLOT** », in R.A, N^{0}66, année 1867.

(83)-LAUGIER DE TASSY, Op.cit.

(84)-VENTURE DE PARADIS, Op.cit.

VENTURE DE PARADIS, **Alger au XVIII^{e} Siècle (1788-1790) mémoire, notes et observation d'un diplomate espion**, présentation et notes par A. RRAHMANE REBAHI, Grand Alger livre, Alger,2006.

(85)-PH.C.VALIERRE, Op.cit.